ISSN: 2588-2384
مجلة المعيار
مجلد: 22 عدد: 44 السنة: 2018

حوارُ خليلِ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام مع أبيهِ آزرَ في سورةِ مريمَ

دِرَاسَةٌ تركيبية دلاليَّةِ

د. مصطفى أحمد قنبر أبو أحمد
وزارة التعليم والتعليم العالي قطر
mqnbr@yahoo.com

تاريخ الوصول:2017/09/25 / القبول:2018/04/10 / النشر على الخط: 2018/06/15
Received: 25/09/2017/ Accepted:10/04/2018/Published online: 15/06/2018

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة البنى التركيبية في الحوار الذي دار بين نبي الله إبراهيم، وأبيه آزر في سورة مريم. وذلك ببيان أشكالها، وتحليل مكوناتها من العناصر اللغوية، والوقوف على مضامين هذه التراكيب في القضايا المختلفة التي تناولها طرفا الحوار. وبيان الدور الدلالي للمفردة التي تسهم مع أقرانها في تشكيل الدلالات الكلية لهذه للتراكيب.

الكلمات المفتاحية: الحوار؛ البنى التركيبية؛ المفردة؛ الدور الدلالي؛ الدلالة الكلية.

Khalil Allah Abraham's dialogue(peace be upon him) with his father Azar in Surat Mariam, A Synthetic structural study

Abstract:

The main aim of this research is to studying of the structures in the dialogue between Prophet Abraham and his father Azar in Surat Mariam. with contemplate on the forms and Analysis of components of linguistic elements, And stand on the contents of these structures in different cases Which the dialogue party presented to her, and Clarification of the semantic role of vocabulary Which contribute with their female colleagues in formation Total significance For these structures.

key words: The dialogue ; the structures ; The vocabulary ; the semantic role ;The Total significance.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وأشرف ولد آدم على الإطلاق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا وتمسك بدعوتـه إلى يوم الدين. وبعد،

فلا يزال القرآن الكريم كتاب الله المعجز المعين الذي لا ينضب، والمادة الخصبة الثرية للبحث والدرس، يقبل عليه الباحثون؛ سبرا لمكنونات أسراره، وكشفًا لمقاصده الشريفة، وطرقه العجيبة في التعبير والبيان. وقد كان للدرس اللغوي على مدى تاريخ العلم الحظُ الأوفر في هذا المجال؛ فنشأت علوم العربية كلها من أجل خدمة هذا الكتاب المعجز. ولقد أحسن أحد أئمة العربية ـ الإمام السيوطي ـ تعبيرا حين قال: "إِنَّ كِتَابَنَا الْقُرْآنَ لَهُوَ مُفَجِّرُ الْعُلُومِ وَمَنْبَعُهَا وَدَائِرَةُ شَمْسِهَا وَمَطْلَعُهَا أَوْدَعَ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمَ كل شيء، وأبان فيه كُلَّ هَدْيٍ وَغَيٍّ، فَتَرَى كُلَّ ذِي فَنٍّ مِنْهُ يَسْتَمِدُّ، وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُ فَالْفَقِيهُ يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ الْأَحْكَامَ وَيَسْتَخْرِجُ حُكْمَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَالنَّحْوِيُّ يَبْنِي مِنْهُ قَوَاعِدَ إِعْرَابِهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ خَطَأِ الْقَوْلِ مِنْ صَوَابِهِ. وَالْبَيَانِيُّ يَهْتَدِي بِهِ إِلَى حُسْنِ النِّظَامِ وَيَعْتَبِرُ مَسَالِكَ الْبَلَاغَةِ فِي صَوْغِ الْكَلَامِ. وَفِيهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ مَا يُذَكِّرُ أُولِي الْأَبْصَارِ. وَمِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ مَا يَزْدَجِرُ بِهِ أُولُو الْفِكْرِ وَالِاعْتِبَارِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُلُومٍ لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهَا إِلَّا مَنْ عَلِمَ حَصْرَهَا، هَذَا مَعَ فَصَاحَةِ لَفْظٍ وَبَلَاغَةِ أُسْلُوبٍ تَبْهَرُ الْعُقُولَ وَتَسْلُبُ الْقُلُوبَ وَإِعْجَازُ نَظْمٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ."(1)

وقد كان الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام، وأبيه آزر في سورة مريم، زاخرًا بكثير من النكات اللغوية التي التفت إليها كثير من المفسرين، وجعلتهم يقفون عند كثير من المفردات والبنى القرآنية المكونة لنسيج هذا الحوار. وحاول الباحث الوقوف على مجهودات المفسرين اللغوية في هذا الحوار، واجتهد في بيان دلالات ما لم يحظ بالتناول اللغوي عند هؤلاء المفسرين.

أهداف البحث وأهميته:

تأتي أهمية هذا البحث من خلال الأهداف التي رامها الباحث، والتي تتمثل في:

1ـ تحليل البنى التركيبية المكونة لنسيح الحوار، وبيان العلاقة بينها.

2ـ بيان دور المفردة القرآنية الدلالي في مكونات الحوار الإقناعي.

3ـ كشف العلاقة بين البنى التركيبية والمقاصد الدلالية في الحوار.

منهج البحث:

التزم البحث في إنجاز هدفه بالمنهج الوصفي التحليلي.

---

(1) السيوطي (الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت 911 هـ): الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب(1394هـ/ 1974 م) ج1، ص17

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، و توطئة، وستة مباحث، و خاتمة.

المقدمة: وفيها بيان لأهمية الموضوع، وأهداف البحث فيه، ومنهج البحث، وخطته.

التوطئة: وتناولتُ فيها الهدف من الحوار كأحد طرق الدعوة، والسياق العام للحوار موضوع البحث، ومكمن الصعوبة في هذا الحوار، ثم المسلك الذي انتهجه خليل الله عليه السلام في هذا الحوار، ثم عرضتُ للآيات المعنية بالبحث.

المبحث الأول: الجملة الطلبية، ودلالتها في مفتتح الحوار.

المبحث الثاني: الجملة الاسمية المؤكدة لمصدر المعلومات.

المبحث الثالث: جملة النهي مضمونها ودلالات مكوناتها.(مضمون رسالة المحاوِر)

المبحث الرابع: الجملة الاسمية المؤكدة لأحد أسباب الدعوة.

المبحث الخامس: جمل: الاستفهام، والشرط، والأمر، ودلالاتها في رد المخاطب.

المبحث السادس: الجملة الخبرية في ختام الحوار، و دلالاتها.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

توطئة

كان الحوار ـ ولا يزال ـ أحد طرق الدعوة إلى عقيدة التوحيد؛ لأن الإقناع الناتج عنه له مردوده على المدعو: إما بتصحيحِ أفكارِهِ المغلوطة، أو مَدِّهِ بمعلومات يجهلها، أو اتخاذ مواقف إيجابية تجاه ما يطرح من قضايا. وإجمالا يرمي الداعية ـ هنا ـ من دخوله في حوار مع الآخر إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

الأول: الدفع ببطلان عقيدة الشرك، وبيان ما يترتب على التمسك بها من ظلم للنفس، وخسارة في الدنيا والآخرة .

الثاني: التأكيد على سلامة عقيدة التوحيد، ودلائل تفرد المولى عز وجل بالعبادة، ثم بيان ما يترتب عليها من فوز في الدنيا والآخرة.

لذا ينبغي على الداعية (المحاور) أن يكون دقيقًا في تخير مجموعة البنى التركيبية التي تعبر عن مضمون القضايا التي يدافع عنها، ويوظف كل مكونات هذه البنى في إقناع المدعو؛ للتأثير في توجهه وعقيدته.

السياق العام للحوار:

موضوع الدراسة هو الحوار الذي أوردته سورة مريم من الآية (42) إلى الآية (47)، حيث دعا خليل الله إبراهيم عليه السلام أبيه آزر إلى ترك عبادة الأصنام، والدخول في عقيدة التوحيد.

وقد نشأ خليل الله إبراهيم عليه السلام وعاش بين قوم يعبدون الكواكب والأصنام، وكل من كان على وجه الأرض كفارٌ، سوى إبراهيم الخليل عليه السلام، وابن أخيه لوط عليه السلام، وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور، وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى آتاه رشده في صغره، وابتعثه رسولا واتخذه خليلا في كِبَرِه

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ الأنبياء/51. وكانت أول دعوته لأبيه آزر، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام/74.[1]

الصعوبة في الحوار:

تَكْمُن صعوبة البدء في هذا الحوار في أن الآخر هو أبٌ للمحاوِر، و أنَّ على المحاوِر(الابن) هداية أبيه لسببين عظيمين:

الأول: دَعَوِيٌّ، وهو تبليغ عقيدة التوحيد للبشرية، وتلك مهمة نبي الله ورسوله إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قومه.

والثاني: صِلَةُ الدم والقربى التي تجمع بين نبي الله (إبراهيمَ)، وأبيه (آزَر) الذي لم يكن مؤمنًا بالأصنام فقط، بل كان متعصبًا لها، يقوم بصنعها ويروج لها وكان يطلب من إبراهيم بيعها؛[2] مما يفرض على الابن أن يقوم بما عليه تجاه أبيه إنقاذًا له من عذاب شديد جراء استمراره في عبادة غير الله.

النهج الإبراهيمي في الدعوة:

لذا كان على نبي الله أن يسلك في هداية أبيه مسلكا مغايرًا للمعهود في دعوة الآخرين والتحاور معهم. فانتقى نبي الله من البني التركيبية، وتخيَّر من الألفاظ ما يثير به عدة قضايا حول عقيدة قومه وما يكتنفها من أباطيل وضلالات تنسف هذه العقيدة من أساسها، وتضع الأب أمام مواقف لا يستطيع حيالها أن يدفع بسلامة العقيدة التي يؤمن بها. ناهيك عما يترتب على التمسك بهذه العقيدة من وقوع تحت طائلة عذاب الله عز وجل.

ولا يغفل خليل الله إبراهيم عليه السلام في ثنايا كل هذا ما يسمى بخطاب المشاعر الذي تمثل في الإعراب عن الحب والخوف، هذا الحب الذي جسده الإصرار العجيب من جانب الابن على هداية والده إلى الصراط المستقيم وسوْق الحجج التي تدعم دعوته، والخوف من أن يظل الأب على عقيدته فيكون عرضةً لعذاب الرحمن، واقعًا في دائرة الغواية مع إبليس اللعين... تجلّى كل ذلك مع التزامه عليه السلام أعلى درجات الأدب في الخطاب مع أبيه، حتى حين هدده بالرجم والطرد كما سيتبين لاحقًا.

آيات الحــوار:

عرضت سورة مريم لتفاصيل هذا الحوار في الآيات الكريمة الآتية:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ

(1) ينظر: ابن كثير (الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: د. عبد الحي الفرماوي، القاهرة ط5 (1997/1417)، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة ،ص 168، و 171 .

(2) انظر: البغوي: (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت 510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1(1420هـ)، ج2،ص140.

الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (4)﴾.

المبحث الأول الجملة الطلبية، ودلالتها في مفتتح الحوار

أُفْتُتِحَ الحوار في هذا النص الكريم المعجز بقول نبي الله إبراهيم عليه السلام مخاطبًا أبيه:﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾. والتركيب أسلوب نداء يصنف ضمن الأساليب الإنشائية الطلبية، وجاء جوابه جملة طلبية أخرى هي الجملة الاستفهامية، وتتشكل عناصره من:

(يَا) أداة نداء للقريب + (أَبَتِ) منادى +[(لِمَ) أداة استفهام + (تَعْبُدُ) فعل مضارع + ضمير مستتر (فاعل) + (مَا) اسم موصول + (لَا) نافية + (يَسْمَعُ) فعل مضارع + ضمير مستتر (فاعل) + (وَ) حرف عطف + (لَا) نافية + (يُبْصِرُ) فعل مضارع + ضمير مستتر (فاعل) + (لَا) نافية + (يُغْنِي) فعل مضارع + ضمير مستتر (فاعل) + (عَنْـ) حرف جر + (ـكَ) ضمير في محل جر + (شَيْئًا) مفعول به] جواب النداء.

تُنْبِئُ مفردات هذا التركيب في مجملها عن رغبة حثيثة من الابن في هداية أبيه؛ فريضةً من الله في تبليغ دعوة التوحيد، ووفاءً بحق الأبوة؛ فجاء تخير أداة النداء (يَا) معبرة عن تأكيد هذه الرغبة؛ لأن (يَا) يُنادي بها القريب توكيدًا.[(1)] أما المنادى فقد جاء بأعذب لفظة تقع على سمع الآباء (أَبَتِ)، إنها تحمل في طياتها معاني الولاء الأبوي والاحترام رغم اختلاف العقيدة. إنه يريد ـ بداية ـ أن يُنَبِّهَهُ إلى شيء في غاية الأهمية والخطورة يتعلق بزيف ما عليه من مُعتقد، و بطلان ما يمارسه من عبادة، فكيف يمكنه الوصول به إلى مرحلة الاقتناع بفكرة هذه القضية؟ لن يجدي إلا الحوار المبني على المحسوسات، والذي يستند إلى إعمال العقل والنظر فيما يَعرض من قضايا.

يقول العلامة ابن عاشور مستأنسًا بالبعد الاجتماعي في علاقة الآباء بالأبناء:" وافتتح إبراهيم خطابه أباه بندائه مع أن الحضرة مغنية عن النداء قصدًا لإحضار سمعه وذهنه لتلقي ما سيلقيه إليه، عَلِم إبراهيم أن في طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير كيفما بلغ حاله في الحذق وبخاصة الآباء مع أبنائهم، فتوجه إلى أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلى أنه مخلص له النصيحة."[(2)]

وقد ارتأى خليل الله أن يبدأ حواره مع أبيه بأسلوب النداء بالأداة (يا)، والمنادى (أبَتِ)، وجاء جواب النداء استفهاما إنكاريا (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)؟، وتوبيخًا على استمراره في عبادتها،[(3)] رغم

---

(1) انظر: ابن هشام (الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام. ت 761)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5 (1979م) ص 354، 355. ود. إبراهيم حسن إبراهيم: أسرار النداء في لغة القرآن الكريم، مطبعة الفجالة، القاهرة (1978م)، ص9.

(1) الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت. 1393هـ): التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس (1984 هـ)، ج 16، ص 113.

(3) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت 1250هـ): فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق/بيروت، ط 1، (1414 هـ) ج3، ص369.

كونه من أكثر الناس معرفة بحقيقتها! ويبدو أن الاستفهام بدلالتيه كان مفاجئًا للرجل؛ فلم يستطع الرد عليه مما جعل خليل الله عليه السلام يسوق له من الحجج ما يؤكد فساد عقيدته وعقيدة قومه. وفي ذلك يقول العلامة الزمخشري: انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورِّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز: كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن، منتصحًا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا. [1]

وجاءت الأفعال المتتالية: (تَعْبُدُ، يَسْمَعُ، يُبْصِرُ، يُغْنِي) مضارعةً بما تعطى دلالة الامتداد والاستمرارية في الزمان والمكان. وقد عمد خليل الله عليه السلام إلى انتقاء العنصر اللغوي (مَا) تعبيرًا عن الأصنام، وهي اسم موصول لما لا يعقل.[2] وأتبعها بثلاثة أفعال منفية بأداة النفي (لا)، ليفيد دخول هذه الأداة على الفعل المضارع النفي في الحال و الاستقبال، يُفهم هذا من كلام سيبويه إذ يقول:" وإذا قال هو يفعل، ولم يكن الفعل واقعًا، فنفيه لا يفعل، وإذا قال: ليفعلنَّ، فنفيه: لا يفعل."[3]ومن النحاة مَنْ يرى أن ذلك غير لازم. يقول المرادي: "ذهب الأخفش والمبرد وتبعهما ابن مالك إلى أن ذلك غير لازم، بل قد يكون المنفي بها للحال."[4] و على هذا فالنفي بـ (لا) صالح للحال والاستقبال معا، مع الدلالة على التوكيد، إلا إذا ورد في الجملة ما يفيد تقييد الزمن أو يوجهه.[5]

إنَّ النفي المتتالي لصفات السمع والبصر والغنى في الحال والاستقبال جاء ليثبت ويؤكد العجز التام لهذه المعبودات. فالأب لازال يعبد الأصنام رغم كونها لا تمتلك من صفات الألوهية شيئًا، ناهيك عن افتقادها لأبسط مقومات الحياة أصلا من سمع وبصر، إلى جانب أنها تفتقر إلى أقل درجات النفع، وهو ما أفاده انتقاء اللفظة النكرة (شَيْئًا) مفعولا به للفعل المنفي (لَا يُغْنِي) الذي تقدمه الجار والمجرور (عَنْكَ) بما ينفي النفع المباشر الذي قد يناله العابد (الأب) من معبوده (الصنم) من دفع ضر أو جلب نفع.

---

(2) الزمخشري جار الله (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت. 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3 (1407 هـ)،جـ 3، ص 21

(2) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت.)، ج 1ص 150.

(3) سيبويه (أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر.ت 180هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط3 (1408 هـ – 1988 م)، ج 3 ، ص117.

(4) المرادي (الحسن بن قاسم المرادي، ت 749): الجنى الداني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2(1403/1983) ص296.وانظر: الزجاجي(أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. ت 340): كتاب حروف المعاني، تحقيق: على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1(1404/1984)، ص8.

(6) انـظر: د. سعيد بحيري: ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، مكتبة الأنجلو المصرية (1995م)، ص156،157. و د. خليل عمايره : أسلوبا النفي والاستفهام في العربية، (د ت)، ص103.

لقد "وَصَفَ الأصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الإلهية، وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها إلا من له ولاية الإنعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة إلا هو"[1] وقد التفت العلامة النيسابوري في تفسيره إلى النكتة البلاغية في عدم ذكر مفعولي الفعلين (يَسْمَعُ، يُبْصِرُ) فقال: "إن الغرض نفي الفعلين على الإطلاق دون التقييد."[2] و يرى أحد الباحثين أن فاصلة هذه الآية " جاءت لتُجمِل صفات العجز في هذه الأصنام فهي لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضرًا ولا نفعًا."[3] أفلَا يستدعي كل هذا تفكيرًا ومراجعةً لهذه العقيدة مِنْ جانب الرجل؟!

لقد أحدثت هذا المقولة خلخلة في عقل هذا الرجل الذي استمر في غيِّه سنوات طوال من عمره، إلى أن جاء هذا الابن لينبهه إلى حقيقة ما هو عليه ـ هو وقومه ـ من فساد الاعتقاد وخطأ العبادة، وليخاطب عقله في هدوء ورويّة، إذ "ألقى إليه حجّة فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطئ، منبّهاً على خطئه عندما يتأمل في عمله، فإنه إن سمع ذلك وحاول بيان سبب عبادة أصنامه لم يجد لنفسه مقالاً ففطِن بخطل رأيه وسفاهة حلمه، فإنه لو عبد حيّاً مميزاً لكانت له شبهة ما. وابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحِسّ إذ قال له: {لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر} فذلك حجة محسوسة، ثم أتبعها بقوله: {ولا يغني عنك شيئاً}"[4] متحلِّيًا في كل هذا بآداب الخطاب المعهودة بين الابن وأبيه، مبرزًا جانب الحرص والحب والاهتمام في حواره معه.

المبحث الثاني الجملة الاسمية المؤكدة لمصدر المعلومات

يعاجل خليل الله أباه فيذكر بعضًا من نعم الله عليه، وما أجلَّها من نعمة! وما أفضلها من عطية! إنها اصطفاؤه من قبل الإله الحق رسولا ونبيًا، بالعلم الرباني، بما آتاه الله من العلم عن العقيدة الصحيحة و العقائد الفاسدة، هذا الاصطفاء الذي جعله نبيًا ورسولاً جاء ليخرج قومه من ضلال العقيدة إلى صحيحها؛ فجاءت مباشرة الآية التالية: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾. ربما ليلقي شيئًا من الطمأنينة في قلب هذا الرجل، وليؤكد على صحة وسلامة ما يدعو إليه. ويمكن تحليل العناصر اللغوية في الآية الكريمة في التركيبين التاليين:

1ـ (يَا) أداة نداء للقريب+ (أبتِ) منادي + [(إنَّـ) حرف توكيد ونصب+(ـي) اسمها/ضمير+ (قَدْ) حرف تحقيق+ (جَاءَنِي)خبر إن/جملة فعلية (جَاءَ) فعل ماض + (ـنِـ) نون الوقاية+(ـي)مفعول به+ (مِنَ الْعِلْمِ)جار ومجرور

(1) الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، ت. 741هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية / بيروت ط1(1415 هـ)، ج 3، ص189

(2) النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت 850هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه / بيروت، (1416 هـ)، ج 4، ص490

(3) محمد بكر العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية لسورتي مريم وطه، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية في غزة، كلية أصول الدين، (1430/2009)، ص83.

(4) الطاهر بن عاشور): التحرير والتنوير، ج 16، ص 113.

+(مَا)حال/ اسم موصول + (لَمْ)حرف نفي + (يَأْتِكَ) جملة الصلة/ جملة فعلية (يَأْتِ) فعل مضارع+ ضمير مستتر (فاعل) + (كَـ) مفعول به]. جواب النداء/جملة اسمية.

2ـ (فَـ) فاء السببية +(اَتَّبِعْ) فعل أمر + (نِـ) نون الوقاية+ ضمير مستتر (فاعل) +(ـي) مفعول به +[(أَهْدِ) فعل مضارع+ ضمير مستتر (فاعل) + (كَـ) مفعول به أول+(صِرَاطًا) مفعول به ثان+ (سَوِيًّا) صفة] جواب الطلب.

أما عن التركيب الأول في الآية الكريمة، فقد تصدرته جملة النداء كما في الآية السابقة؛ لما في ذلك من تأكيد معاني الحرص على علاقة القربى ولين الخطاب، إلى جانب تأكيد معاني الاحترام والولاء الأبوي فلا زالت هذه العلاقة إحدى بواعث دعوة هذا الأب إلى الطريق الصحيح. ثم يُتبع هذا التأكيد ببيان أكثر تأكيدًا عن مصدر دعوة التوحيد، إنه وحي الله له، وعلم اختصه الله به دون غيره.

وهنا يحشد الداعية (نبي الله) من أدوات التوكيد ما يقوي به مضمون كلامه، فتتصدر (إنَّ) الجملة الاسمية، يليها حرف التوكيد(قَدْ)، فالفعل الماضي (جَاءَنِي)، فالجار والمجرور (مِنَ العلم). وعليه فإن الدعوة من مصدر لا يقبل التشكيك، إنها ليست افتراضات أو رؤى بشرية أو اجتهادات عقلية تخضع للخطأ والصواب، أو غير ذلك، إنها علم أوتيه هذا الابن مِنَّة من الله الذي يصطفي لها من يشاء من عباده، وهو ما لم يصل إليه الأب رغم كونه ذا خبرة كبيرة بحكم أسبقية الوجود في هذه الحياة. ونلحظ في هذا التركيب ما يشير إلى كنه هذا العلم، إنه علم جاء إليه (جَاءَنِي)، ولم يأتِ هو إليه، لم يطلبه ولم يسعَ هو إليه كشأن أيِّ علم يوصف به أي من بني البشر.

وهنا يتطور الحوار من الخبر والتوكيد والإقناع إلى الطلب والتصديق والاتباع، والمقابل لذلك عظيم بقدر عظمة المهمة، وهو ما يكشف عنه التركيب الثاني في الآية الكريمة، في قوله تعالي: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا). جاء هذا التركيب في ثوب الجملة الطلبية، وقد بدأ بفعل الأمر (اَتَّبِعْ) مصدَّرا بفاء السببية رابطا لغويا ودلاليًا بين ما سبقها (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ) وبين ما لحقها (اتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)، هذا إلى جانب إفادة السرعة في اتخاذ القرار إنقاذًا لنفسه وإدخالا لها في حظيرة الإيمان. ثم جاء فعل الأمر (اَتَّبِعْ) ليلغي كل معاني الانقياد والخضوع والتقليد الأعمى كما هو نهج الكفرة والمشركين في خضوعهم للحجارة والكواكب وغيرها؛ ذلك أن تحصُّن الداعي بالعلم (الوحي) ينفي كل المعاني السلبية للاتِّبَاع. وهذا ما حرص خليل الله على إبرازه في التركيب الأول من الآية الكريمة، إضافة إلى ما ساقه خليل الله من أدلة محسوسة على فساد عقيدة القوم في الآية الأولي. كما يلحظ في انتقاء الجملة (اتَّبِعْنِي) من الإيجاز اللفظي وقلة المبنى الحرفي ما يختصر الكثير من الألفاظ الشارحة والموضحة لأغراض المتكلم والهدف الأسمى له.

وعلى الفور ودون سوابق لفظية تأتي النتيجة الفورية (أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)، هذا ما يطمح إليه الابن من دعوة أبيه، وهو: الإرشاد، أو التوفيق، أو الإلهام، أو الدلالة. كما جاء عند الشوكاني.(1) وكذا التثبيت.(1)وأرى أن المعاني السابقة

---

(1) الشوكاني: فتح القدير، ج1، ص27.

كلها صالحة لبيان المقصد الأسمى من جواب الطلب (أَهْدِكَ). إذنْ فالأمر عظيم ولن يقوم به إلا من أوتي علمًا يختلف عما هو معهود من العلوم، وتزداد مكانه الفعل ثقلا وعظمة عند من يدركه إذا عرفنا أن هذا الإرشاد والتوفيق والدلالة ومن بعدها التثبيت سيكون للطريق السويّ الذي لا تضلّ فيه ــ أيها الأب ــ إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه.(2) وتلك لعمري رسالة الأنبياء جميعا، وهدف كل داعية على وجه البسيطة، ومطلب كل مسلم يتكرر في كل ركعة من ركعات الصلاة في اليوم والليلة.

والتنكير في قوله (صِرَاطًا سَوِيًّا) جاء لإفادة التعظيم والتفخيم، وهذا ما جعل نبي الله يصر على إقناع والده بكل السبل على وجوب اتباعه، وعلى الأب أيضًا أن يسارع إلى إجابة الدعوة وأن يستمسك بهذا الطريق الذي اكتسب التعظيم والتفخيم لما فيه من الاستواء والرشاد.

ولكن لمَ وصف الصراط بالسَوِيِّ؟ مع أن الصراط جاء مقترنًا بالاستقامة في أربعة وثلاثين موضعًا في القرآن الكريم.(3) لقد جاءت الفاصلة (سَوِيًّا) متناغمة مع بقية فواصل آيات الحوار الكريمة (نبيًّا، سويًّا، عصيًّا، وليًّا، مليًّا، حفيًّا) مما أحدث انسجامًا بين فواصل هذه الآيات، ولو جاءت كلمة (مستقيمًا) في موضع (سويًا) لما حدث هذا التناغم و الانسجام الصوتي، ومبعث الانسجام هنا شيئان:

1ـ اتفاق الفواصل الست في الحوار في حرفين قبل حرف الروي من غير كلفة ولا قلق، وتسمى تلك الفواصل بالمتماثلة.(4)

2ـ اتفاق الفواصل الست في الوزن فجميعها جاءت على وزن (فَعِيل).

وقد جاء وصف الصراط بالسويِّ متناسبًا مع كل ما جاء في الآية الكريمة من معانٍ، حيث اختصاص نبي الله إبراهيم بالعلم دون أبيه، هذا العلم الذي أثبت به فساد عقيدة الشرك، ونفي تحقق أي فائدة تعود على عابد الصنم؛ ومن ثم وجب على كل ذي عقل البحث عن طريق آخر سَوِيّ ينقذه مما وقع فيه من الشرك، وهذا ما أردف به نبي إبراهيم جملة جواب النداء حيث يحقق اتباعه ـ لما عنده من العلم ـ الوصول للهدف الأسمى وهو الاهتداء إلى الصراط السوي.

---

(1) النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت 710هـ): تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1(1419 هـ - 1998م) ج 1، ص 32.

(2)الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ،ت 310هـ): جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1،(1420 هـ - 2000 م) ج18،ص203.

(3) **ينظر**: مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج2 (1410هـ /1990م) ص 938. ود. حسن خطاف: نظرة في مفهوم الصراط في القرآن الكريم في: http://vb.tafsir.net/tafsir5439/#.VMnulGisW_8

(4) انظر أنواع الفواصل في: محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن الكريم، دار عمار، الأردن ، ط2 (1421هـ/2000م) ص 146.

المبحث الثالث جملة النهي مضمونها، ودلالات مكوناتها (مضمون رسالة المحاوِر)

يتراجع الحوار هنا حيث يعود إلى نقطة البداية وهي قضية العبادة الضالة ومَنْ يكون وراءها، فينتقل من توصيف الصنم، إلى تأصيل هذا المسلك الضال حينما يصف عبادة الصنم بأنها عبادة للشيطان. ولا زال الابن الداعية يتحلى بآداب الخطاب القائم على معاني الولاء الأبوي والاحترام ولين الجانب، وهذا ما عُبِّر عنه في قوله تعالى:﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ ويمكن تحليل ألفاظ الآية الكريمة في التركيبين الآتيين:

1ـ (يَا)أداة نداء+(أَبَتِ) منادى+[(لَا) حرف نهي+ (تَعْبُدِ) فعل مضارع +(ضمير مستتر) فاعل+ (الشَّيْطَانَ) مفعول به] جملة جواب النداء.

2ـ (إِنَّ)حرف توكيد+(الشَّيْطَانَ)اسمها/اسم ظاهر+[كَانَ (فعل ناسخ)+ (ضمير مستتر) اسم كان +(لِلرَّحْمَنِ)جار ومجرور + (عَصِيًّا).خبر كان].والجملة خبر إنَّ.

النداء الثالث في هذا الحوار تصدر التركيب، يليه إنشاء طلبي متصل بالتركيب الأول الذي استفهم مستنكرًا خضوعه للصنم ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، ولأن جانب المحاوِر أصبح الآن قويًّا، بعد أن عجز الآخر عن الرد على الحجج القوية التي سيقت له؛ جاء التركيب هنا نهيًا عن مسلك عقدي بَيِّنِ الضلال واضحِ الفساد وهو عبادة الشيطان ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾.

و لكنْ ما العلاقة بين بيان فساد عبادة الأصنام في الآية الأولى وبين النهي عن عبادة الشيطان هنا؟ يرى صاحب التحرير والتنوير أن "المراد بعبادة الشيطان عبادة الأصنام؛ عبَّر عنها بعبادة الشيطان إفصاحًا عن فسادها وضلالها، فإن نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفطنون إلى حالهم ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه مثل قولهم:﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ الزخرف: 23، ففي الكلام إيجاز لأن معناه: لا تعبد الأصنام لأن اتخاذها من تسويل الشيطان للذين اتخذوها ووضعوها للناس، وعبادتها من وساوس الشيطان للذين سنّوا سنن عبادتها، ومن وساوسه للناس الذين أطاعوهم في عبادتها، فمن عَبَد الأصنام فقد عبد الشيطان وكفى بذلك ضلالاً معلومًا، وفي هذا تبغيض لعبادة الأصنام؛ لأن في قرارة نفوس الناس بغض الشيطان والحذر من كيده." (1)

وقد تقدمت دلالة نفي المضارع بالأداة (لا)، ولكي يقع الطلب على نفس المتلقي موقعًا أكثر قبولا وقناعة علل خليل الله لدعوته تلك ـ وأعقبها بلا واسطة ـ بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾، وقد جاء هذا التعليل في قالب الجملة الاسمية المصدرة بأداة التوكيد (إِنَّ) وجاء خبرها جملة اسمية منسوخة بالفعل (كَانَ) التي تحمل دلالات التأكيد والثبوت في الماضي لهذه الجريمة الشنعاء، ولعل في مجيء الخبر (عَصِيًّا) على صيغة المبالغة ما يؤكد فداحة هذا الجرم. "وذكر وصف «عصيًّا» الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة فعل (كَانَ) للدلالة على أنه لا يفارق

(1)الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص116.

عصيان ربِّه وأنه متمكن منه، فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة، أي بما يُفضي إلى النقمة، ولذلك اختير وَصف الرحمن من بين صفات الله تعالى تنبيهاً على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يتبع."(1)

وعن هذا التعليل أيضًا يقول العلامة أبو السعود (ت 951هـ): "وقوله: {إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّاً} تعليلٌ لموجب النهي، وتأكيدٌ له ببيان أنه مستعصٍ على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم، ولا ريب في أن المطيعَ للعاصي عاصٍ، وكلُّ مَن هو عاصٍ حقيقٌ بأن يُسترد منه النعم ويُنتقم منه،)(2) ويتابع الشيخ سبب الإظهار لاسم إنَّ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ ﴾ بدلا من الإضمار الذي قد يستساغ في أساليب أخرى قائلا: " والإظهارُ في موضع الإضمار لزيادة التقريرِ"(3)، ثم يقول: "والاقتصارُ على ذكر عصيانه من بين سائر جناياتِه لأنه مَلاكُها أو لأنه نتيجةُ معاداتِه لآدمَ عليه السلام وذريته، فتذكيرُه داعٍ لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرضُ لعنوان الرحمانية لإظهار كمالِ شناعة عصيانِه."(4)

وقد التفت صاحب نظم الدرر إلى سبب انتقاء اسم الله (الرَّحْمَن) في الآية دون غيره من أسماء الله الحسنى ، فقال: "{كَانَ لِلرَّحْمَنِ} المنعم بجميع النعم القادر على سلبها، ولم يقل: للجبار – لئلا يتوهم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للعجز عنه." (5)

ومن بعده تناول الشيخ رشيد رضا بشيء من التحليل الفروق الدلالية بين الاسمين الكريمين: الرحمن، والرحيم. فقال:" إنّ صيغة فَعْلان تدلّ على وصف فعليّ فيه معنى المبالغة كفعّال، وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة كعطشان وغرثان وغضبان وأمّا صيغة فعيل فإنّها تدلّ في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس كعليم وحكيم وحليم وجميل. و القرآن لا يخرج عن الأسلوب العربيّ البليغ في الحكاية عن صفات الله عزّ وجلّ التي تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين. فلفظ الرحمن يدلّ على مَنْ تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل: وهي إضافة النعم والإحسان، ولفظ الرحيم يدلّ على منشأ هذه الرحمة والإحسان وعلى أنّها من الصفات الثابتة الواجبة. وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ولا يكون الثاني مؤِّكداً للأوّل. فإذا سمع العربيّ وصف الله جلّ ثناؤه بالرحمن وفهم منه أنّه المفيض للنعم فعلاً لا يعتقد منه أنّ الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً؛ لأنّ الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وإن كان كثيراً، فعندما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه،

(1) المرجع السابق، ص117.

(2) أبو السعود (أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج5،ص267.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع نفسه.

(5) البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت. 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ج12،ص 206.

ويعلم أنّ لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون أثرها وإن كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين، ويكون ذكرها بعد الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول ليقوم برهاناً عليه."[1]

من هنا يتضح عظم الجرم، وفُجر الذنب الذي اقترفه هذا المخلوق إذ تأبَّه وعصى المنعم جل في علاه فاستحق الغضب واللعنة، ويدرك بذلك كل ذي عقل وفكر عدم الانجرار أو الانخداع بغوايات هذا المريد.

المبحث الرابع الجملة الاسمية المؤكدة لأحد أسباب الدعوة

يستمر نبي الله في خطابه لأبيه فيلمس بعدًا نفسيًا ووجدانيًا وأسريًا، ففي تبادل للأدوار الاجتماعية وبعد أن كان الأب هو الذي يخاف على ابنه من عادات الزمن ـ كما هو شأن المخلوقات الحية جميعا ـ أضحى الابن هو من يعلن خوفه وقلقه على أبيه! لكنَّ مبرر الخوف في الحالين متباين: فالأول عواقبه في العاجلة فقط لصغر سن الابن وقله تجاربه في هذه الحياة، أما الثاني فعواقبه في العاجلة والآجلة؛ جراء اتباع الأب لعقيدة فاسدة زيَّنها له اللعين (إبليس)؛ تعرّضه لسخط الله في الدارين وما ينتظره من عذاب وتنكيل.

ويبدو أن نبي الله قد تبيَّن له أن مردود الحجج السابق لم يجدِ نفعًا مع أبيه؛ فلجأ عليه السلام إلى استثمار هذا البعد النفسي الاجتماعي الذي يبرز فيه جانب الحرص الشديد على الإنقاذ من هذا الظلم العظيم. و دائما ما يتوجه الدعاة إلى البدء ببيان ثواب الطاعة وتأخير بيان عقوبة المخالفة، وهذا نهج دعوي سار عليه الأنبياء وهو ما ظهر في دعوة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام. إذ قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾.

ويمكن تحليل البنية التركيبية لهذه الآية في ثلاثة أشكال:

الشكل الأول: في قوله تعالى:﴿يَا أَبَتِ ﴾

(يَا) أداة نداء للقريب +(أبتِ) منادى.

الشكل الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ.﴾

إِنِّ (حرف توكيد) +ـي(اسمها/ضمير) + أَخَافُ(خبر إن/جملة فعلية فعلها مضارع+ فاعل/ضمير مستتر)+[أَنْ (حرف مصدري) + يَمَسَّ (فعل مضارع منصوب)+ـكَ (مفعول به/ضمير) + عَذَابٌ(فاعل اسم ظاهر)+ مِنَ (حرف جر) + الرَّحْمَنِ (اسم مجرور)] مفعول به/مصدر مؤول.

الشكل الثالث: قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾

فَـ (عاطفة)+تَكُونَ (فعل مضارع)+فاعل/ضمير مستتر+ لِلشَّيْطَانِ(جار ومجرور)+ وَلِيًّا(خبر تكون).

صُدِّرت هذه الآية بالتركيب الطلبي﴿**يَا أَبَتِ** ﴾ الذي كان متصدرا لثلاثة خطابات في هذا الحوار، وزيادة على ما يفيده هذا الطلب من إبراز معاني الولاء الأبوي والاحترام والتوسل والاستعطاف[2]، وغيرها من الدلالات التي سبق

(1) السيد محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، دار المنار، القاهرة، ط 2 (1366هـ/1947م)، ج 1، ص 39.

(2) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص 20.

الإشارة إليها، فإن المقام الدعوي هنا يتطلبها: حيث يعرب خليل الله عليه السلام لأبيه عن قلقه من المستقبل الذي ينتظر هذا الأب إن ظلَّ على عقيدته تلك، وكان لانتقاء الفعل المضارع (أخاف) ووقوعه خبرا في جملة مؤكدة بالحرف (إنِّ) بما يعبر عنه من تأكيد مشاعر القلق من هذا المستقبل ـ أثره في إيصال هذا المعنى لأبيه؛ الأمر الذي يستجلب ردًا إيجابيًا من المدعو أقله الإعراب عن تقديره لهذه المشاعر أو طمأنة هذا الابن القَلِق.

وقد رأى بعض المفسرين أن (أَخَافُ) هنا بمعنى أعلم،(1) لكن العلامة الرازي يرى أن هذا المعنى: " إنما يصح لو كان إبراهيم عليه السلام عالماً بأن أباه سيموت على ذلك الكفر وذلك لم يثبت فوجب إجراؤه على ظاهره؛ فإنه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل الثواب ويجوز أن يصر فيموت على الكفر، فيكون من أهل العقاب، ومن كان كذلك كان خائفاً لا قاطعًا، واعلم أن من يظن وصول الضرر إلى غيره فإنه لا يسمى خائفاً إلا إذا كان بحيث يلزم من وصول ذلك الضرر إليه تألم قلبه كما يقال أنا خائف على ولدي."(2) وهذا ما أميل إليه. ويرى الألوسي أن قوله: { يَأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ } تحذير من سوء عاقبة ما هو فيه من عبادة الأصنام، والخوف كما قال الراغب توقع المكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة فهو غير مقطوع فيه بما يخاف، ومن هنا قيل: إن في اختياره مجاملة.(3)

إنَّ مبعث خوف أو قلق الابن له ما يبرره، فمتى أصرَّ هذا الأب على عقيدته تلك بعد كل هذا البيان، فالعذاب ـ لاشك ـ ينتظره؛ لأن ولايته للعدو الأول (إبليس) لا جدال فيها. و لننظرْ إلى رقَّة

قلب هذا الابن الداعية ومدى حبه وحرصه على هداية أبيه الذي تمثل في انتقاء المصدر المؤول (أَنْ يَمَسَّكَ) فكل هذا الخوف من مجرد المسِّ، فما بال من يُغمس(نسأل الله العفو والعافية). وفي دلالات التعبير بالمصدر المؤول دون المصدر الصريح ـ هنا ـ عدد من الأغراض منها:

1ـ الإخبار عن الحدث مع الدَّلالة على الزمان. ويَعني ذلك القول بواضح العبارة أنَّ المصدر المؤول، إنما كان ليُفيد ـ إلى جانب الحدَث ــ الدَّلالةَ على الزمان، وهذا ما لا يتحقق بوجود المصدر الصريح.

---

(1) انـظر: الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت. 427هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1(1422هـ/ 2002 م). والطبري: جامع البيان،ج18،ص 204. والسمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت. 373هـ): بحر العلوم، تحقيق: على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1 (1413هـ/1993م) ج2،ص 325. و مكي بن أبي طالب(أبو محمد حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، ت 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي/ جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - جامعة الشارقة، ط1 (1429 هـ - 2008 ج7،ص 4547. والسمعاني (أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي، ت 489هـ): تفسير القرآن، تحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1(1418هـ- 1997م) ج3،ص 295. البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3،ص236.

(2) الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3(1420 هـ)، ج21،ص544.

(3) الألوسي(شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،(1415 هـ)، ج8،ص415.

2ـ الإخبار عن الفاعل.

3ـ أن يُفهم منه الحدث دون عارضٍ من عوارضه المتصورة.

4ـ أن يدلُّ على إمكانية حدوث الفعل، دون الوجوب والاستحالة.

5ـ تقْوِية المعنى، وتوكيد مضمونه وتثْبيته.(1)

وقد أفاض العلماء في دلالات تنكير فاعل المس (عَذَابٌ)، فيرى النسفي: أن التنكير هنا يفيد التقليل، كأنه قال: إني أخاف أن يصيبك نَفَيان من عذاب الرحمن.(2) أما العلامة أبو السعود فيرى أن كلمةَ (مِن) متعلقةٌ بمضمر وقع صفةً للعذاب مؤكدةٌ لما أفاده التنكيرُ من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية، وإظهارُ الرحْمنِ للإشعار بأن وصفَ الرحمانية لا يدفع حلولَ العذاب.(3)

ويرى الألوسي أن تنوين { عَذَابٌ} يحتمل التعظيم والتقليل أي عذاب هائل أو أدنى شيء، وإضافة العذاب إلى الرحمن على ترجيح الثاني كما ذكره بعضهم لقوله تعالى: {لمسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} النور: 14، ولأن العقوبة من الكريم الحليم أشد. وفي «الكشف» أن الحمل على التفخيم في { عَذَابٌ } كما جوزه صاحب «المفتاح» مما يأباه المقام أي لأنه مقام إظهار مزيد الشفقة ومراعاة الأدب وحسن المعاملة وإنما قال:(مّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ) لقوله أولاً{كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيّاً } مريم: 44 وللدلالة على أنه ليس على وجه الانتقام بل ذلك أيضاً رحمة من الله تعالى على عباده وتنبيه على سبق الرحمة الغضب.(4)

ويرى الزمخشري أن الخطاب هنا لم يخلُ من حسن الأدب مع المخاطَب، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال: أخاف أن يمسك عذاب، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه، وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله، أكبر من العذاب نفسه وأعظم.(5)

ويُجْمِل أبو حيان رؤيته لمفردات هذا التركيب فيقول: "والأولى حمل (أَخَافُ) على موضوعه الأصلي لأنه لم يكن آيساً من إيمانه بل كان راجياً له وخائفاً أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب، وخوَّفه إبراهيم سوء العاقبة وتأدّب معه إذ لم يصرّح بلحوق العذاب به بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ المس الذي هو ألطف من المعاقبة

(1) د. طه محمد الجندي: المصدر المؤول، بحث في التركيب والدلالة، دار الثقافة العربية، القاهرة 1999 ، ص 70 وما بعدها.

(2)النسفي: تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج2،ص339.

(3) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 5، ص267.

(1) الألوسي: روح المعاني ، ج 8، ص415.

(2)الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 20.

ونكر العذاب، ورتب على مس العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان كما قال في مقابل ذلك (ورضوان من الله أكبر).[1]

ويعرض التركيب الثالث في الآية الكريمة ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ للمبعث الثاني وراء خوف خليل الله، وكأنه أراد من أبيه أن يشاركه في تفُّهم مشاعر القلق والخوف. وهو ما سبق أن أشار إليه في تعليل طلبه المباشر ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾. ألا تستحق ولاية أبيه للشيطان ـ إن لم يتبْ ـ هذا الخوف، وتستوجب منه إنذار كل من عميت بصيرته عما فيها من ضلال، ومن باب أولى أبيه.

قال الرازي في تفسيره: وفي الولي وجوه: أحدها: أنه إذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار والولاية سبب للمعية وإطلاق اسم السبب على المسبب مجاز وإن لم يجز حمله إلى الولاية الحقيقية لقوله تعالى: { ٱلأَخِلاۤءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ ٱلْمُتَّقِينَ} الزخرف: 67، وقال{:ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضا} العنكبوت:52. وحكى عن الشيطان أنه يقول له: {إِنّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ }إبراهيم:22، واعلم أن هذا الإشكال إنما يتوجه إذا كان المراد من العذاب عذاب الآخرة، أما إذا كان المراد منه عذاب الدنيا فالإشكال ساقط. وثانيها: أن يحمل العذاب على الخذلان أي إني أخاف أن يمسك خذلان الله فتصير موالياً للشيطان ويبرأ الله منك على ما قال تعالى: { وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيّاً مّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً }النساء: 119. وثالثها: ولياً أي تالياً للشيطان تليه ، كما يسمى المطر الذي يأتي تالياً ولياً فإن قيل قوله: { أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيّاً} يقتضي أن تكون ولاية الشيطان أسوأ حالاً من العذاب نفسه وأعظم.[2]وقد عبرت الفاء في مقدمة التركيب عن سرعة ما يترتب على لحوق العذاب بهذا الرجل، وهو الدخول في ولاية الشيطان، الأمر الذي يستوجب من كل ذي قلب وعقل أن ينأى بنفسه عن الوقوع في هذه الدائرة؛ فيبوء بالخسران في الدنيا والآخرة.

و يمكن أن نقرأ في الجار والمجرور وتقديمه على الخبر ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ نكتة بلاغية تتمثل في إبراز معاني الامتلاك والسيطرة والاستحواز، ومن ثَّم فقدان الإرادة والتبعية المطلقة وما في ذلك من خطر عظيم إذ تنصرف الولاية هنا إلى الشيطان، الذي له في العقل الجمعي الإنساني ما له من مخزون التكبُّر والعداء والحقد لآدم وذريته، وما اعتزم عليه قسمًا أمام الذات العلية بإغواء آدم وبنيه، لاتزال مشاهد ـ هذا المخزون ـ حاضرة إذ سجلها الكتاب المعجز: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (80) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

(3) أبو حيان(محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت. 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ط (1420 هـ) ج7، ص269.

(1)الرازي: التفسير الكبير، ج21، ص545.

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) ﴾ سورة ص. و لعل في مجيء (وَلِيًّا) نكرة من معاني التحقير والازدراء ما يكفي للتبرؤ من اتّبَاع هذا العدو، والإقلاع من تبعيته.

المبحث الخامس جمل: الاستفهام، والشرط، والأمر، ودلالاتها في رد المخاطَب

سلك خليل الله إبراهيم عليه السلام طرقًا متعددة لإقناع أبيه؛ علّ ذلك يصرفه عما هو عليه من فساد العقيدة، ورأينا كيف انتقى مجموعة من الألفاظ، وبنى طائفة من التراكيب من أجل هذا الهدف الأجلّ. لكن الاستجابة لكل ذلك جاءت في قول الأب: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾، وقد اشتمل هذا الرد على ثلاثة تراكيب:

الأول: استفهام: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

الثانـي: قسـم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

الثالث: أمـــر: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾.

جاء رد المحاوِر مصدرًا بالاستفهام، وذلك في رأيي لم يكن إلا استكبارًا وعنادًا وتعصبًا: فلم يناقش الأب ولده فيما ساقه من حجج؛ لأنه يوقن أن القضية بالنسبة له خاسرة، وأن لا يمكن له أن يلغي عقله. فأراد أن يخفي عجزه عن الرد وعدم قدرته على مقارعة الحجة بحجة أقوى ـ لا وجود لها في الأساس ـ بهذا الرد، فسارع بتوجيه هذا الاستفهام وكأنه يؤكد على ضعف جانبه، وقوة الجانب الآخر. وكأنه أراد الاستتار خلف هذا الإنشاء الطلبي بدلا من افتضاح أمره وعدم قدرته على الرد، ورغبةً في تقوية جانبه أتبع الاستفهام بالتركيب الشرطي وبلا واسطة، وتصاعدت وتيرة التقوية شيئًا ما حين هدده بالطرد، لكنَّ كل هذه التراكيب الإنشائية التي استتر خلفها لم تخفِ ضعف موقفه في الحوار.

وبتحليل التركيب الأول نجد المكونات التالية:

أَ(حرف استفهام) + رَاغِبٌ (مبتدأ) + أَنْتَ (فاعل سد مسد الخبر) + عَنْ (حرف جر) + آَلِهَتِـ (اسم مجرور) + ـي (مضاف إليه) + يَـا (أداة نداء) + إِبْرَاهِيمُ (منادى).

صُدِّرت أداة الاستفهام هنا لتعطي التركيب دلالات التقريع والتوبيخ والتعجيب.[1] وقدَّم الخبر على المبتدأ وصدَّره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب، كأنها مما لا يرغب عنه عاقل.[2]

ويحلل العلامة ابن عاشور الجملة بعد أداة الاستفهام فيقول: " وجملة أراغب أنت جملة اسمية مركبة من مبتدأ وفاعل سدّ مسدّ الخبر على اصطلاح النحاة طردًا لقواعد التركيب اللفظي، ولكنهم لما اعتبروا الاسم الواقع ثانياً بعد الوصف فاعلاً ساداً مسدّ الخبر فقد أثبتوا لذلك الاسم حكم المسند إليه وصار للوصف المبتدأ حكم المسند. فمن أجل

(1) الشوكاني: فتح القدير، ج3، ص 397.

(2) البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1(1418 هـ) ج4، ص12

ذلك كان المصير إلى مثل هذا النظم في نظر البلغاء هو مقتضى كون المقام يتطلّب جملة اسمية للدلالة على ثباتٍ المسند إليه، ويتطلّب الاهتمام بالوصف دون الاسم لغرض يوجب الاهتمام به، فيلتجىء البليغ إلى الإتيان بالوصف أولاً والإتيان بالاسم ثانياً. ولما كان الوصف له عملُ فعله، تعين على النحاة اعتبار الوصف مبتدأ لأن للمبتدأ عراقةً في الأسماء، واعتباره مع ذلك متطلّباً فاعلاً، وجعلوا فاعله سادّاً مسدّ الخبر، فصار للتركيب شبهان. والتحقيقُ أنه في قوّة خبر مقدم ومبتدأ مؤخر. ولهذا نظر الزمخشري في الكشاف إلى هذا المقصد فقال: قُدم الخبر على المبتدأ في قوله: أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهمّ عنده وهو به أعنى." [1]

وفي إضافة ياء المتكلم إلى آلهة، وتصميمه على كونها آلهة وليست بأصنام ـ رغم أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تجدي ــ ما يؤكد تمسكه بعقيدته الفاسدة، وفيه " إشارة إلى مبالغته في تعظيمها"[2]، و في ذلك أيضًا إظهار الولاية والانتساب إلى الأصنام قصد تشريفها.[3] و هذا على عكس ما أشار إليه نبي الله في بداية الحوار فلم يصرح باسمها، وإنما أشار إليها بالاسم الموصول: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾.

ثم ناداه باسمه لا بلفظ النبوة المذّكر بالشفقة والعطف زيادة في الإشارة إلى المقاطعة وتوابعها، فقال: {يَا إِبْرَاهِيمُ}[4] وفي النداء أيضًا تكملة لجملة الإنكار والتعجب، لأنّ المتعجب من فعله مع حضوره يقصد بندائه تنبيهه على سوء فعله، كأنه في غيبة عن إدراك فعله، فالمتكلم ينزله منزلة الغائب فيناديه لإرجاع رشده إليه، فينبغي الوقف على قوله يا إبراهيم.[5] وفي مناداته {يَا إِبْرَاهِيمُ} نرى كيف " قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل { يَا أَبَتِ}: بـ (يا بُني).[6]

أما التركيب الثاني وهو قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، فقد جاء في الشكل الآتي:

لَـ (موطئة للقسم) + إنْ (حرف شرط) + لَمْ (حرف نفي وجزم وقلب)+ تَنْتَهِ(فعل مضارع مجزوم) + ضمير مستتر (الفاعل) + لَـ (واقعة في جواب القسم) + أَرْجُمَـ (فعل مضارع مبني على الفتح) + نَّـ (للتوكيد) + ضمير مستتر (الفاعل) + كَـ (ضمير مبني في محل نصب مفعول به).

جاء هذا التركيب بعد الاستفهام الإنكاري الذي توجه به آرز ردا على ما ساقه خليل الله من حجج، ولم ينتظر جوابًا لأنه متيقّنٌ من ثبات وصحة العقيدة التي ترسخت في قلب الابن؛ فعاجله بالتهديد والوعيد الذي لا رجوع فيه إن لم ينته عما يدعو إليه، وتمثل ذلك في الرجم ثم الهجر.

---

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16،ص119. والنسفي: مدارك التنزيل،وحقائق التأويل، ج2،ص339.
(2) البقاعي: نظم الدرر، ج12، ص207.
(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص118.
(4) البقاعي: نظم الدرر، ج12، ص207
(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج16، ص119.
(6) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص12.

إن هذا التركيب يكشف عن أبعاد من ملامح شخصية هذا المخاطَب، ذلك أن مجيء اللام الموطئة للقسم في بداية هذا التركيب وما تليها من مؤكدات تصدرت الفعل (لَأَرْجُمَنَّكَ) واللام التي سبقت الفعل ونون التوكيد الثقيلة التي لحقته، وإسناد فعل القائم بالعقوبة إليه نفسه دون غيره ـ نستطيع أن نقرأ فيه بعدين لشخصية هذا الأب: الأول: نفسي، تمثل في ضيق هذا الأب من الدعوة إلى التوحيد ونبذ عبادة الصنم، والثاني: فكري، نراه في افتقاره إلى حجة يدافع بها عن عقيدته الفاسدة. و يمكن القول إن هذا التهديد إشهار لإفلاس المحاوَر، وإقرار بقوة حجة المحاوِر؛ لأن هذا هو كل ما يمتلكه، وهذا هو كل ما يمكنه أن يدفع به، وهو الرجم.

وقد اختلف العلماء في المقصود بالرجم هنا ما بين العقوبات التالية: الشتم، الضرب بالحجارة وأشدها القتل وزاد القرطبي لأظهرن أمرك.(1) ولعل ردة فعل الأب هذه تظهر أيضا ضعفه ومحاولته مقاومة هذه الدعوة، ولعل في العقوبة الثانية (اهْجُرْنِي) ما يؤكد تطور ردة الفعل، و يمكن القول إنها آخر سلاح يشهره آرز في وجه ابنه، ربما يحسب أن يكون له مردود ما عند الابن إبراهيم.

ويأتي التركيب الثالث مكملا لرد آزر على ما طرحه الابن، وهو قوله عز وجل حكاية عن آزر: ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ فيأخذ الشكل الآتي:

وَ(حرف عطف) + اهْجُرْ (فعل أمر) + ضمير مستتر (الفاعل) + نِـ (للوقاية) + ـي (مفعول به) + مَلِيًّا (ظرف زمان).

جاء هذا التركيب عطفًا على التركيب السابق، ومكمل لردة فعل الأب آرز، وكلاهما عقوبتان هُدِّد بها خليل الله من والده. قال الرازي: في قوله تعالى: { وَٱهْجُرْنِى مَلِيّاً } قولان: أحدهما: المراد واهجرني بالقول. و الثاني: بالمفارقة في الدار والبلد وهي هجرة الرسول والمؤمنين، أي تباعد عني لكي لا أراك، وهذا الثاني أقرب إلى الظاهر.(2)

ويكشف الأمر هنا عن عمق الفجوة التي أحدثها تمسك الأب بعبادة الصنم، و امتلاء نفسه بالكراهية لدعوة ابنه، وعدم الرغبة في البقاء تحت سقف واحد مع هذا الابن، على الرغم من مسيس الحاجة إلى وجوده برفقته خاصة في هذا السن، وهو ما زاده تأكيدًا الظرف (مليًا) الذي حمل معانيَ منها: حيناً طويلاً، زمنًا طويلا، دهرًا، مدة بعيدة، أبدا.(3)

ويمكن أن نلمح في هذا التهديد بعدًا نفسيًا أراد الأب أن يلمس وتره، ربما يجعل إبراهيم يلين و يتراجع في دعواه، وهو طلب الأب من الابن التخلي عنه في تلك الفترة من العمر التي أحوج ما يكون فيها الأب إلى الرعاية والبر

---

(1) **انظر**: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ،ت 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2 (1384هـ- 1964م)، ج11، ص111. والشوكاني: فتح القدير ، ج3،ص397. والبقاعي: نظم الدرر، ج12، ص207. والطبري: جامع البيان في تأويل القرآن ، ج18،ص 205. و الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3،ص20.

(2) الرازي: التفسير الكبير، ج21،ص546.

(3) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص111. الرازي: التفسير الكبير، ج21،ص546. والشوكاني: فتح القدير، ج3، ص398. والبيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص12. والطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ص18، ج207. و الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص20. ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج5، ص235.

والإحسان، وهو ما لا يخفى على نبي الله وخليله. لكنْ ربما لا يعلم الأب أن رابطة العقيدة أقوى من رابطة القربى، بل إن هذه العقيدة تأمر بالبر والإحسان إلى مخالفيها ممن تربطهم وشائج القربى بمعتنقيها.

وبالنظر في التراكيب الثلاثة على الكيفية التي جاءت بها يمكن أن نقرأ فيها الدلالات الآتية:

ـ العجز التام عن محاججة خليل الله فيما طرحه، حول عقيدة التوحيد.

ـ الإقرار الضمني من المخاطب (آزر) بقوة وسلامة الحجج التي دفع بها خليل الله في هذا الحوار.

ـ غض الطرف عن مدى صحة عقيدة الصنم، وهذا إقرار ضمني من جانب المحاوَر (آزر) بفساد العقيدة التي يتمسك بها، وإلا لدفع بصحتها؛ فربما الأهم استمرار تدفق المكاسب الاقتصادية من تصنيع الأصنام وبيعها في حصيلته.

المبحث السادس الجملة الخبرية في ختام الحوار و دلالاتها

قابل خليل الله هذا التهديد من أبيه بما يشعر بالاحترام والحب والمسالمة، و عدم اليأس من هدايته: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، وجاء هذا الرد في التراكيب الثلاثة الآتية:

ـ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾

ـ ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾

ـ ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾

أما عن التركيب الأول فجاء في الشكل التالي: سَلَامٌ(مبتدأ) + عَلَيْكَ (جار و مجرور/ خبر).

وعن هذا التركيب يقول البغوي: "سَلِمْتَ مِنِّي لَا أُصِيبُكَ بِمَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِقِتَالِهِ عَلَى كُفْرِهِ. وَقِيلَ: هَذَا سَلَامُ هِجْرَانٍ وَمُفَارَقَةٍ. وَقِيلَ: سَلَامُ بِرٍّ وَلُطْفٍ، وَهُوَ جَوَابُ الْحَلِيمِ لِلسَّفِيهِ."(1) وقال الزمخشري: " قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سلام توديع ومتاركة، كقوله تعالى لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ وقوله وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً، وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه."(2) ويلتفت الزمخشري إلى علة هذا الرد من خليل الله في وجه التهديد الذي تلقاه من أبيه، فيجوّز" أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له، ألا ترى أنه وَعَدَه الاستغفار."(3)

وهذا يجعل الباب مفتوحًا أمام الأب للتبرئة من عبادة الشيطان، والنجاة من عذاب الرحمن.

وجاء التركيب الثاني مباشرة بعد السلام بما يحمله من رد إيجابي يحمل معاني البر واللطف والسلامة، ليقدم وعدًا بطلب المغفرة لأبيه من الله، وذلك في الشكل الآتي:

سَـ (حرف استقبال) + أَسْتَغْفِرُ (فعل مضارع)+ضمير مستتر (فاعل) + لَكَ (جار ومجرور) + رَبِّـ (مفعول به) + ـي (مضاف إليه).

---

(1) البغوي : معالم التنزيل، ج3، ص 236.

(2) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص21.

(3) المرجع السابق: نفس الصفحة.

و قد كان لانتقاء العناصر السابقة أثره في تقوية وتدعيم الرسالة السابقة (الاستمالة، وترك الباب مفتوحًا)، فقد جاءت هذه العناصر تالية وبلا واسطة للتركيب الأول ما يعني أن الرد الإيجابي ليس بلطف وسلام فقط، بل قد تصاعد وارتقى لطلب المغفرة والتجاوز عن هذا الأب بعد كل ما بدر منه من قول أمام ما سيق له من حجج لم يملك لها دفعًا. ولننظرْ إلى دور حرف الاستقبال (السين) الذي تصدَّر الفعل المضارع، وتسمى سين التنفيس، وتخلصه للاستقبال.(1) ليعطي دلالة الحدوث في العاجل القريب، وفيه أيضًا دلالة التجدد و الاستمرار؛ لأن "عَلَّامَةُ الِاسْتِقْبَالِ وَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ مُؤْذِنَانِ بِأَنَّهُ يُكَرِّرُ الِاسْتِغْفَارَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ" (2) بما ينفي قنوط نبي الله من رجوع أبيه عن غيِّه، وفي إضافة ياء المتكلم إلى الذات العلية ما يؤكد على الثقة في الرب الكريم جل وعلا، فضلا عن كونها إضافة تشريف و تعظيم لنبي الله.

وتختتم الآية بالتركيب الثالث، الذي جاء في الشكل التالي:

إِنَّ (حرف توكيد) +ـهُ (اسم كان)+ كَانَ (فعل ماضي ناسخ) + بِي(جار ومجرور) + حَفِيًّا (خبر كان).

وقد تقدم هذا التركيب حرف التوكيد (إنَّ) ليقوي مضمون ما جاء بعده ويؤكده. و بتحليل هذا المضمون نجد ضميرًا اتصل بهذا الحرف عائدًا على رب العزة جل وعلا ليحتل مكان اسمها، تلاه جملة كان الناسخة لتكون خبرا له. وجاء اسم كان ضميرًا مستترًا عائدًا على الرب عز وجل.

وقد توقف النحاة والمفسرون عند هذا الفعل ودلالته عندما يسند إلى لفظ الجلالة (الله)، يقول العلامة السيوطي: تخْتَص كَانَ بمرادفة (لم يزل) كثيرا أي أَنَّهَا تَأْتِي دَالَّة على الدَّوَام وَإِن كَانَ الأَصْل فِيهَا أَن يدل على حُصُول مَا دخلت عَلَيْهِ فِيمَا مضى مَعَ انْقِطَاعه عِنْد قوم وَعَلِيهِ الْأَكْثَر كَمَا قَالَ أَبُو حَيَّان أَو سكُوتهَا عَن الِانْقِطَاع وَعَدَمه عِنْد آخَرين وَجزم بِهِ ابْن مَالك، وَمن الدَّالَّة على الدَّوَام الْوَارِدَة فِي صِفَات الله تَعَالَى نَحْو {وَكَانَ الله سميعا بَصيرًا} النِّسَاء 134 أَي لم يزل متصفا بذلك.(3) ويرى أحد الباحثين أن الفعل الماضي هنا تجرد من الزمان، فدلَّ على الاستمرار غير المقيد بزمن معين؛ أي أن مدلوله يحدث في جميع الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل ، وهو ما يسمى بالزمن الدائم، ودلالة الماضي على الزمن العام ترد في سياق لا يقع فيه الحدث في زمن خاص، وإنما يحدث في كل زمان، ومن المواضع التي ترد فيها صيغة الماضي دالة على الزمن العام، إذا جاءت مسندة إلى الله تعالى.(4)

وإذا توقفنا عند الخبر نجده قد جاء على صيغة فَعِيل(حَفِيًّا) لإفادة المبالغة، وقد أورد المفسرون جملة من المعاني لهذه اللفظة منها: البرّ، اللطيف، الرحيم، العالم بالشيء، المستجيب للدعاء، الرفيق، الشَّدِيدُ الْبِرِّ وَالْإِلْطَافِ، الْمُبَالِغُ فِي

---

(1) انظر: المرادي، الجنى الداني ، ص59.

(2) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16، ص 121.

(3) السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج1، ص 438. وانظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج 6، ص 531.

(4) البشير جلول: التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية ،في: مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، (بسكرة. الجزائر)، ع 6 (2011)، ص18.

الْبِرِّ وَالْإِلْطَافِ، من عوَّد مَنْ يدعوه إجابة الدعاء، كَثِيرُ الْبِرِّ وَاللُّطْفِ.[1] وقد تقدم الجار والمجرور (بِي) على الخبرٌ لإفادة التخصيص و التشريف. أما عن علاقة هذا التركيب بما قبله فقد أكد بعض المفسرين أنه تعليلٌ لمضمون ما قبله.[2] و هو ما يكشف عن بعض من النعم العظيمة التي أسبغها المولى عز وجل على نبيه وخليله عليه السلام، وكذا عن المكانة المرموقة لهذا النبي الكريم عند ربه، والعلاقة القوية التي تربطه بخالقه جلت قدرته. وإذا قرأنا هذا التنزيل الكريم بجانب ما سبقه من وعد بالاستغفار لتبين لنا أن لخليل الله مقصدًا جليلا من وراء ذلك يتمثل في إغراء الوالد بالتفكير في العدول عن تمسكه بالأصنام والإصرار على عقيدته الفاسدة، وأن باب التوبة لم يوصد بعد. ولم يكن هذا كلامًا نظريًا فقط، بل إن له من المشاهد ـ في حياة خليل الله ـ ما يؤيده، خاصة ما رآه والده من البرد والسلام الذي تنزَّل عليه إثر إلقائه في النار، وكيف أنّ ربه كان به حفيًا.

وهكذا كان لانتقاء المفردة القرآنية بما حملته من معانٍ و دلالات، دورها في بيان مقصد المحاور، كما كان لنظم البنى التركيبية في مراحل الحوار مبتدئه ووسطه ومختتمه، أثرها في وصول الرسالة الحوارية الإقناعية إلى الآخر، الذي فهمها ووعيها، لكن تجاوبه معها كان سلبيًا. إنَّ الإخلاص في الدعوة الذي يتمثل في سَلْك كل طرق الإقناع، وعدم تطرق اليأس إلى نفس الداعية، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وإعطاء الطرف الآخر أملا في الرجوع إلى الصواب لهو درس يحق لكل سائر في درب الدعوة أن يعيه، وهو ما يمكن أن نخرج به من وقوفنا على تحليل أسلوب الصياغة في نسيج هذا الحوار القرآني.

النتائـج

في ختام هذا البحث توصَّلْت بعون الله وتوفيقه إلى النتائج الآتية:

1ـ تنوعت البني التركيبة للحوار الإبراهيمي ما بين الاسمية والفعلية، والطلبية والشرطية، وقد غلبت الجمل الطلبية ما بين استفهام وأمر ونهي على بقية الجمل.

2ـ وُظِّفت التراكيب اللغوية في الحوار لتحقيق هدفي الإقناع والتأثير في المتلقي، وتمثل ذلك في محاولة الإقناع بهدفين رئيسيين:

---

(1) **انـظر**: الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت. 502هـ)، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1(1412 هـ) ص 246. والثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج 6، ص217. و البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، جـ3، ص236. و الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص 21. وابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ،ط1(1422 هـ)، ج3، ص 134.و الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج21،ص547. والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 113. و البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 4، ص 12. و أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج5، ص268. و الشوكاني: فتح القدير، ج 3، ص 397. و الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16،ص 121.

(2) **انظر**: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج5، ص268. و الشوكاني: فتح القدير، ج 3، ص 397. و الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16،ص 121.

الأول: الدفع ببطلان عقيدة الشرك التي تمثلت في عبادة الأصنام، وبيان ما يترتب على التمسك بها من ظلم للنفس، والوقوع تحت طائلة العذاب.

الثاني: التأكيد على سلامة عقيدة التوحيد، ودلائل تفرد المولى عز وجل بالعبادة، ثم بيان ما يترتب عليها من فوز في الدنيا والآخرة.

3ـ عبرت الألفاظ التي وظفت في موقعها في نسيج هذا النص الشريف عن دلالات قصد إليها طرفا الحوار، أشير إليها في ثنايا البحث... ما كان لغيرها أن تعطي نفس الدلالات.

4 ـ التزم نبي الله وخليله إبراهيم بأقصى درجات الأدب مع والده في حواره حتى حين هدده باللعن والضرب والطرد، وقد عبرت عن هذا العناصر اللغوية التي وُظِّفت في بنى هذا الحوار، وفي ذلك درس لكل الدعاة إلى الله.

والحمد لله أولا وآخرا.

المراجع

أولا: الكتب:

1ـ د. إبراهيم حسن إبراهيم: أسرار النداء في لغة القرآن الكريم، مطبعة الفجالة، القاهرة (1978م).

2 ـ أبو حيان(محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت. 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ط (1420 هـ)

3 ـ أبو السعود (أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

4 ـ الألوسي(شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي،ت 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1415 هـ).

5 ـ البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ت 510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1(1420هـ).

6 ـ البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت. 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

7 ـ البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي /بيروت، ط1(1418 هـ).

8 ـ الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، ت427هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1(1422هـ/2002 م).

9ـ ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،ت 597هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1(1422 هـ).

10- الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، ت. 741هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ط1(1415 هـ)،

11 ـ د. خليل عمايره: أسلوبا النفي والاستفهام في العربية، (د ت).

12- د.سعيد بحيري: ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي، مكتبة الأنجلو المصرية (1995م).

13 ـ الراغب الأصفهانى (أبو القاسم الحسين بن محمد، ت. 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية/ دمشق بيروت، ط1(1412 هـ) .

14- الزجاجي(أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. ت 340): كتاب حروف المعاني، تحقيق: على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1(1984/1404).

15 ـ الزمخشري جار الله (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت. 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3 (1407 هـ).

16 ـ السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت. 373هـ): بحر العلوم، تحقيق: على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1413هـ/1993م).

17- السمعاني (أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي، ت 489هـ): تفسير القرآن، تحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1(1418هـ- 1997م). م).

18- سيبويه (أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر. ت 180هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط3(1408 هـ - 1988

19- السيوطي (الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت 911 هـ): الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب(1394هـ/ 1974 م).

20 ـ ــــــــ: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

21 ـ الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت 1250هـ): فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق/بيروت، ط 1، (1414 هـ).

22 ـ الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت. 1393هـ): التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس (1984 هـ).

23 ـ الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،ت 310هـ): جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1،(1420 هـ ـ2000 م).

24 ـ د. طه محمد الجندي: المصدر المؤول، بحث في التركيب والدلالة، دار الثقافة العربية، القاهرة (1999م).

25 ـ الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3(1420 هـ).

26 ـ القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ت 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط2 (1384هـ - 1964 م).

27 ـ ابن كثير (الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: د. عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة ط5 (1997/1417).

28- مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج2 (1410هـ/1990م) .

29- محمد بكر العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها:دراسة تطبيقية لسورتي مريم وطه، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية في غزة، كلية أصول الدين، (2009/1430).

30- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن الكريم، دار عمار، الأردن، ط2 (1421هـ /2000م) .

31ـ محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، دار المنار، القاهرة، ط2(1366هـ/1947م).

32 ـ المرادي (الحسن بن قاسم المرادي، ت 749): الجنى الداني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2(1983/1403)

33 ـ مكي بن أبي طالب(أبو محمد حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، ت 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي/ جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة بجامعة الشارقة، ط1(1429 هـ - 2008).

34 ـ النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت710هـ): تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1(1419 هـ - 1998 م) .

35 ـ النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت 85هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت (1416هـ).

36 ـ ابن هشام (الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام. ت 761)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).

37 ـ ــــــــــــ: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5 (1979م) .

ثانيًا: مواقع الكترونية:

38 ـ حسن خطاف: نظرة في مفهوم الصراط في القرآن الكريم في:

http://vb.tafsir.net/tafsir5439/#.VMnulGisW_8

39 ـ البشير جلول: التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية ،في: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، (بسكرة ـ الجزائر)، ع 6 (2011)، في:

dspace.univ-biskra.dz:8080/jspui/.../1/djaloule.pdf